Coptology

# هذيذُ الإبن الوحيد

دكتور

جورج حبيب بباوي

عيد حلول الروح القدس (العنصرة)

٢٠٢٦

www.coptology.org

## المسيح فينا ونحن به ومنه

المســـيح فينا ونحن به ومنه. هو فينا لأنه "الكلمة" الذي ينير بنور حكمته حياتنا العقلية. وهكذا، نحن به. هو فينا لأنه "أخذ الذي لنا"، أي الجسـد والنفس، فصـــار لكل إنســـان "تذكار حيٍّ" في "الكلمة" الذي يعرف كلَّ واحد منّا بحكمته الإلهية وبناســوته الذي "يحس" به وفيه بكل ما يحدث لنا، لأنه قال بصــوته الالهي لشاول الذي "اضطهد كنيسة الله بإفراط": "صعب عليك، ولماذا تضطهدني؟".

ولأنه المســـيح الواحد الذي لا ينقســـم إلى لاهوت وناســـوت، بل جعل "ناسوته واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، فقد صار "تذكار" كل إنسان هو "تذكار" المسيح الحي الواحد الذي يظهر الآن أمام الله لأجلنا.

و"التذكار" الذي تســـلمناه عن الآباء هو أن يكون كل واحد منّا بفكره وقلبه حيًّا يتذكر أقوال الله "ويهذُّ" فيها. وهوذا الآن يتذكرنا كلمة الله الحي الابن الوحيد "ويهذُّ" بمحبته الفائقة عندما يدعونا بأسماء، "ويناجي" كل واحد منّا قائلًا: "افتحي لي يا حبيبتي يا حمامتي". و"يقرع على الباب" ينادي كلَّ واحد منّا لأنه يهذُّ في ذكرى تجســده الذي به جمع البشــرية. وفي ذكرى موته الذي قبلَ به عار وموت ونجاسة كل واحد. وبقيامته التي أحيا بها كل الذين اتحدوا به وأعطاهم نصيبا في قوته وعزته ومجده وحياته ..

وأقول الآن بالقيامة يهذُّ ابن الله في أفعال المحبة الصـــادرة منّا نحوه، لأنه إذ يحب "القطيع الصـغير"، فهو يعجب ويتأمَّل بما تقوم به الغنم ويقبّل كل حَملٍ صـغير ويحمله في حضنه ويأتي به الحظيرة، بل ويدعو كل واحد منّا باسمه.

لا تتعجب إذا سمعت من يقول إن الابن الوحيد يتأمَّل أعمالنا ويشتاق إلى أن يرى فينا صورته، بل وبرجاء الله الحي ينتظر في حكمته وحسب تدبيره كيف يعطي لنا الصالحات.

افتح قلبك بقوة كلمة الله في كنز الروح القدس، أي الأسفار الإلهية أنهار الفردوس الأربعة واقرأ كيف كان الابن، وهو في الاتضاع يجولُ من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة يفتّش عن الضال والمجروح والمطرود، وكيف أرسل عبيده ودعا الذين بلا عمل حتى السَاعة الحادية عشر، أي نهاية النهار، واشتاق إلى أن يعطي لهم عطيةَ صالحة، فأعطاهم نصيب الذين تعبوا طول النهار .. بالحقيقة إن الأشواق الصالحة التي فينا والرغبة في العطاء هي نقطةٌ من بحر صلاح الله وأشواقه التي بلا حدود.

## سرُّ المحبة الفائقة

المسيح فينا ونحن فيه، وهذا هو سرُّ المحبة الفائقة. إنه أولًا سرٌّ خلق الإنسان من العدم "على صورة الله"، لأن الصورة الإلهية التي فينا مخلوقةٌ حسب الله، أي لها كنز القلب ورؤية العقل وحرية الإرادة. وعندما نقول: القلب، فالمقصود بالقلب هو الحياة الداخلية التي نحياها حسب الحكمة والقداسة والمعرفة .. القلب هو "مخارج الحياة". وفي القلب، كلُّ الكائنات الحية التي تحيا خارج القلب، يمكن أن تعيش في قلب الإنسان، أيَ تأخذ مكانها في الفكر والشعور والإرادة.

تأمَّل أيها الإنسان كيف، عندما تفكّر في أمرٍ من الأمور، كيف يحيا في قلبك هذا الأمر. فقد رقد في الرب كل الآباء القديسين، ولكن أغلب هؤلاء أحياء في قلوبنا كما هم بكل يقين أحياء في "كورة الأحياء أورشليم السماوية".

هم أحياء فينا، لأن حياتهم تدخل من باب المعرفة، أي العقل وتنير الفكر. وقداستهم تدخل من باب الحياة، أي القلب وتقدّس الداخل .. ولذلك، هم أحياء فينا، وهم أحياء عند الآب السماوي، حيث يفرح بهم الملكَ المسيح، ويعيّد معهم في "كورة الأحياء".

الحياةُ مثل نهرٍ لا يمكن أن يتوقف فيه جريان المَاء. الحياةُ تتدفق من الله، وتعبر العدم، وتخلق من العدم كلَّ شـــيء، وتحمل الخليقة عبر الموت، لأن الموت هو الذي يفتح باب الحياة، خصوصا بعد قيامة الرب.

ها نحن نأكل خيرات الأرض لكي تتحول بالموت، أي موت هذه الكائنات إلى حياة وحركة فينا، وإلى تقدمة وقرابين تقدَّم على المذبح السمائي. وها نحن بدورنا نموت لكي نقدّم حياتنا على المذبح للآب باســـم ابنه الوحيد، حيث يحمل الروح القدس شذراتَ الحكمة وأشعة النور التي حفظها هو فينا، ويحولها إلى حياة وحكمة، ويسكبها في قلوب وعقول الناس، وتصبح بذلك تقدمة حيَّة تعود إلى الله. ولذلك، يقول الروح القدس عن الراقدين: "أعمالهم تتبعهم"، أي تأتي بعدهم لأنها تحمل معها الذين استناروا وحفظوا كلمة الله في قلوبهم، فحفظتهم كلمة الله في قلب الله.

لكن ما ذكرته الآن لا يتم حســـب قوة الحياة المخلوقة من العدم، وإنما يتم حســب حكمة الله الفائقة. تأمَّل كيف خلق الكلمة كلَّ الأشـياء من العدم، وكيف جعل له مكانا خاصـا في قلب الإنســان لأنه جعل قلب الإنســان مثل وعاء كبير، وهو صـورةٌ من قلب الله الذي يحمل كل شـيء. وهنا نحن لا نقارن بين الأصـل أي الله، والصورة أي الإنسان؛ لأن المقارنة تظلم الإنسان وتقوده إلى الموت إذا تصوَّر أنه مثل الله.

القلب وعاء يحمل في داخله بواسـطة الكلمة الإنســانية وبواسـطة الصـورة العقلية كلَّ ما يحدث خارج القلب. لأننا إذا سمعنا أو رأينا شـــيئا حملته الكلمة

والمخيلة والمشـــاعر إلى داخل القلب، وهناك في القلب يحيا ذلك الشـــيء أو يموت حسـب نوع الحياة وحسـب جوهر ما سمعناه. ولذلك، يقول الآباء أيضـا إن القلب مثل الأرض الزراعية بكل أنواعها، والتعليم آت من الرب نفسه الذي أشار إلى أنواع التربة في مثل الزارع، وكل ما يدخل القلب يحيا أو يموت حسب إرادة القلب وحسب عمل النعمة.

أمَّا عن حياة المسيح فينا، فالأمر أكثر وضوحا لأنه جعل له مكانًا في حياة كل إنســـان في الذاكرة وفي المخيلة وفي قدرة النطق وفي الإرادة. كلٌّ هذه القوات العقلية هي وعاء الابن الوحيد يحركها مثل أوتار القيثارة، ويســـكن فيها بالفكر وبالمحبة وبالروح القدس.

والفكر والمحبة هم عطية الابن الوحيد لنا كمخلوقات، أمَّا الروح القدس فهو عطية الآب لنا كأبناء. ولذلك، كل ما خلقه الله لنا يصـبح هو الأسـاس الذي يبني عليه الكلمة الابن البناء الجديد الأبدي.

قبل تجســد الرب كان القلب، وهو وعاء الله قد تحوَّل وصــار المكان الذي تحيا فيه الشياطين، تدخله دون عناء، وتحتل قواه الداخلية وتترك فيه نجاسات الفكر والصور. ولكن، بعد تجسـد الرب وموته وقيامته، فَقَدَ الشيطانُ سلطانه وطُرد تماما إلَّا من قلوب الذين تعاهدوا معه على الشر والموت

قبل تجسـد الابن الوحيد ربنا يسـوع المسـيح كان القلب وعاء صـغيرا يحتله الإنســـان ويســـمح للآخرين بقدر صـــغير فيه، ولكن جاء الابن الذي أخذ ذات الوعاء، أي القلب الإنساني، وجعله واحدًا مع أُقنومه الإلهي، وأضـاف إليه "سـعةً" جديدة، أي قوله الإلهي عن القلب: "إليه نأتي وعنده نصـنع منزلًا". وبقوله: نصـنع أو نبني، أشار إلى الحقيقة الجديدة، وهي "اتساع" القلب، وهو ما سبق المرنم وأشار

إليه في المزمور: "في طريق وصاياك سعيت عندما وسَّعت قلبي". وهكذا صار الوعاء الآن هو وعاء الله، أي المنزل أو المقام الذي يسكنه الله.

## الثالوث يسكن فينا

والثالوث يأتي إلينا ويسكن فينا **أولًا** من خلال كلمة الله التي يقبلها الإنسان، ومن بعد المعمودية والمسحة الملوكية (الميرون) يحلُّ فينا بالروح القدس.

وحلول الروح القدس فينا هو درجات متنوعة، لأنه يحلُّ فينا بوداعة اللاهوت، فلا نحس به بالمرة بسبب تواضعه الفائق. ويحلُّ فينا بقدرته غير المنظورة، فلا نراه حسب قول الرب: "الريح تهب حيث تشاء، ولكنك لا تراها بل تسمع صوتها .. هكذا يكون كلُّ من ولد من الروح". هو فينا على نحوٍ غير منظور، لكي ننمو بحرية، لأنه لو أظهر لنا مجده لتوقفت حريتنا على الفور وتجمَّد نموَ العقل وتوقَّفت قدرتنا على محبته، لأن المحبة تنمو بالأيام والسنين وتنمو غالبةً لكل شيء.

فالله ليس مثل الأصنام والآلهة الكاذبة يجرد الإنسان من حريته، ويشل حركة إرادته، ويربطه بسلاسل وبقيود، بل يترك الإنسان حرا لكي يأتي إليه بحريته؛ لأنه حيث لا توجد حرية، لا توجد محبة. وإذا انعدمت المحبة، انعدمت العلاقة الأبدية بين الله والخليقة.

ولذلك، هو فينا حسب تواضعه، وحسب حركة إرادتنا. وهنا، لا يجب أن يصلي الإنسان لكي ينزع الله إرادته، بل علينا أن نصلي لكي نموت بإرادتنا، ليس لكي تنعدم الإرادة، بل لكي تتحول بالموت على الصليب من طلب الأمور الفانية الزائلة إلى طلب الله وحده. وحقًا قال المعلم العظيم مار اسحق السرياني: "أيها الآب السماوي كل الغنى والمجد والقوة، وكل ما هو صالح لا أطلبه بالمرة، وإنما أطلبك أنت

وحدك، أمَّا باقي الأشياء فهي غير نافعة بدونك".

**وثانيا** يحلُّ فينا الروح القدس بثلاث درجات متنوعة، ولكن هي كلها من الروح الواحد.

- فهو يحلُّ فينا شاهدًا للابن محركًا إيانا نحوه.

- وهو يحلُّ فينا رغبةً تدفعنا إلى الآب السماوي، والرغبة هي "المحبة العديمة الفساد".

- وهو يحلُّ فينا بصلاته وشفاعته حيث ينقلنا من الفهم الترابي إلى الفهم السماوي ومن الحكمة الزائلة إلى الحكمة الالهية التي تُبطل كل حكمة أخرى.

**وثالثًا** هو يحلُّ فينا لكي نصلي به حسب قول الرسول: "مصلين بكل صلاة وطلبة بالروح القدس". ونحن نصلي بالروح القدس عندما نصلي الصلوات التي أعطاها الروح القدس للأنبياء والبطاركة والقديسين والشهداء والرسل ووالدة الإله، وقبل كل هؤلاء، ربنا يسوع المسيح نفسه الذي بعد أن مُسح بالروح القدس وصار "المسيح الرب" علَّم تلاميذه الصلاة الربانية. ولأن الروَح فينا من بعد المعمودية والمسحة، لذلك يرشدنا إلى الصلوات والتراتيل التي نظمها هو وجعل كلماتها على أفواه القديسين.

**رابعا** وهو يحلُّ فينا عندما يصلي هو فينا حسب قول الرسول إنه يشفع في القديسين" بأنات لا ينطق بها". وهو يعلمنا الصلاة ويرشدنا إلى النطق بالأسرار، وهو ينير القلب لكي ينطق نداء الابن الوحيد، وهو "أبا abba أيها الآب". لكن، علينا ألَّا ننسى أنه يحل فينا عندما نتناول جسد الابن الوحيد الذي هو دائما ممسوح بالروح القدس، وصار إلى الأبد "المسيح،" والذي بحلول الروح القدس عليه صار لنا نحن البشر ميراثًا ونصيبا في مسحته. وعمل الروح القدس في الأسرار الكنسية هو ما

سوف نشرحه عندما تسمح لنا نعمة الروح القدس، لكن يكفي أن نضع أمام عيوننا كلمات صـــلوات القداس التي تعلن أننا نمتلئ من الروح القدس، ومن الأشـــواق السمائية عندما نتناول الأسرار الفائقة، أي جسد ودم ربنا يسوع.

**وأخيرا** علينا أن ندرك –من الأشـواق والكلمات والصـور وأحاديث الناس والتجارب– أن ما يحدث لنا إنما يفتح الوعاء الداخلي أي القلب، ويكشـف لنا عن عمل الروح القدس، لأنه بكل يقين يعمل فينا من خلال كل حركة، حتى تلك التي نظنُّ أنها آتيةٌ منّا أو أنها صـادرةٌ عن الإرادة، لأن تواضـع الروح القدس يمنعه من أن يتحرك فينا بشـكلٍ واضـحٍ حتى لا يقهر إرادتنا، ويختفي الشـر والنقص من داخلنا ونحبه برياء.

## كيف يحيا المسيح في قلوبنا؟

"المسيح فيكم وهذا هو رجاء المجد". هذه هي كلمات الرسول بولس، وهي بالتالي كلمات الصـــدق. الوعاء الداخلي فينا يمتلئ، ليس مثل الأوعية المادية، أي مثل المعايير، ولكنه يمتلئ عقليًّا بالفكر والشعور. والامتلاء العقلي واضح، لأن الحياة الداخلية قوامها الفكر بكل درجاته، والشعور بكل مستوياته.

ودرجات الفكر هي الإدراك والنطق (الفهم) والتعبير بالصـوت، أي الكلمة المسموعة، وهي أحيانًا لا تطابق الكلمة الداخلية غير المسموعة. ومستويات الشعور هي الرغبة واللذة وطلب ما هو فوق، أي السـمائيات. ولذلك، عندما نفكر في الرب، فإن الفكر ينتقل من الإدراك إلى الفهم إلى التعبير بالصـوت، أي الكلمة المسموعة. ومن برودة القلب إلى الأشواق والرغبة إلى لذة الوجود في حضرة الرب، ثم إلى رؤية ومعاينة ما هو فوق، أي الثاؤريا.

والقوة الحقيقية هي في اتحاد القلب والفكر، حيث تنسـاب الحياة الداخلية في وحدة وانسـجام لا انقطاع ولا انفصـام فيه. وهذا لا يتم بقوة الإرادة فقط، وإنما بالنعمة لأن الروح القدس ينقل إلينا حياة المسـيح، ويحولنا إلى صـورة وحدته حتى أننا نصـبح شـركاء الحياة الإنسـانية لأُقنوم الابن الكلمة، أي الحياة الإنسـانية المتألهة بالروح القدس، وهي ثمرة اتحاد لاهوت الابن بالناسـوت. هذا الاتحاد لا يتم حسـب قوانين الطبيعة، أي أنه ليس مثل احتراق الخشب إذا اشتعلت فيه النار أتت عليه تماما، وليس حسب اتحاد المعادن، ولكنه اتحاد الارادة والفكر، واتحاد ما هو روحي بما يشـبهه. هو اتحاد إرادي يقوم على المحبة، وتقوم الإرادة فيه بدورٍ واضـحٍ. وهو اتحاد لا تربطه بالطبائع المخلوقة أي رابطة، لأن الطبيعة المخلوقة إنما هي تسـير حسـب غاية خلقها. ولذلك السـبب، نحن نؤمن بأن الفـادي والمخلّص هو الإله خـالقنا، لأنه رسـم حـدود وجود وحيـاة الكائنات، وهو وحده القادر على أن يرسم غاية الاتحاد بالآب وبالروح من خلال قدرته الخالقة، ومن خلال ما رسمه من عطايا وهبات سماوية.

لذلك، تأتّه الطبيعة الإنسـانية بالنعمة هو وحسـب قول الرب: "أنا قلت إنكم آلهة"، ليس تطور ولا نموَّ طبيعة حسـب مقاييس وجوهر وحدود الطبائع مهما كان نوعها، وإنما هو دعوةُ النعمة إلى هبات التبني، وإلى مشـابهة بابن الله، وهو ما يجب أن نطلبه في حدود النعمة، وهي ما سبق وأعلنه الابن الوحيد بتجسده.

سـلام يا عيدَ العنصـرة، سـلام يا انسـكاب الروح القدس. لقد جاء الابن وتجسَّـد وسـكب حياته الالهية في الناسـوت، واليوم يأتي الروح، لكي يسـكب حياته ومحبته وعطاياه في كل إنسـان. وما سـبق وأخبرنا به التجسـد يتم الآن فينا بالروح القدس.

+ + +